الفصل السادس عشر

ماذا بعد جون ديوى ؟

تحدثت فى فصل سابق عن جون ديوى مع عرض لعقيدته التربوية التى تركت ظلالها واضحة المعالم فى الكثير مما كتبه بعد سن الثامنة والثلاثين ، وقد أخذ القرن التاسع عسر يلفظ أنفاسه الأخيرة لتبزغ شمس القرن العشرين ، وتحتدم فيه أعتى معركة تربوية شهدها تاريخ البشر على الأرض ...

وقد يحق لنا أن نقف قليلا – لا لعرض فلسفة ديوى التربوية من خلال عقيدته – ولكن من أجل إطلالة تحليلية ناقدة للمبادىء الخمسة التى عرضها ، والتى تجد اليوم أصداء واتجاهات فيها من الرفض أكثر مما فيها من القبول . فيقول ديوى فى ماهية التربية « إن كل تربية تقوم على مشاركة الفرد فى الوعى الاجتماعى للجنس البشرى ، وتبدأ هذه المشاركة تقريباً منذ الولادة لا شعورية ثم تظل تشكل قوى الفرد بصورة مستمرة بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنمية مشاعره وانفعالاته » .

ثم يشفع هذا برأيه فى ماهية المدرسة . فيقول « المدرسة هى أولا مؤسسة اجتماعية ، والتربية فى أساسها عملية اجتماعية . فالمدرسة صورة الحياة الجماعية التى تهيىء الطفل إلى المشاركة فى ميراث الجنس ، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية . لذلك كانت التربية عملية من عمليات الحياة ، وليست إعداداً لحياة مستقبلة » .

ثم يعطينا ديوى رأيه فى مادة التربية فيقول إن الحياة الاجتماعية للطفل هى الركيزة ... « وليس المركز الصحيح للربط بين المواد الدراسية هو العلم أو الأدب أو التاريخ أو الجغرافية ، بل النشاط الاجتماعى الخاص بالطفل » .

أما رأى ديوى الرابع فيحدد وجهة نظره فى الطريقة : فى طبيعة التربية

فيقول « تعتمد معالجة ووسائل تقديم المادة للطفل على طبيعة نموه ويرى أن يسبق الجانب الإيجابى الجانب السلبى فى نمو طبيعة الطفل ، وأن الحركات سابقة للإحساسات الشعورية .

ويرى ديوى خامساً أن التربية هى الطريقة الأساسية للتقدم والإصلاح الاجتماعى .

وقد علت الألوية تمجيداً لهذه الآراء الديوية ؛ ولكن مطارق النقد لم تستطع إلا أن تمارس سطوتها بعد سنوات غير كثيرة من المد الديوى ، لا فى أمريكا فقط ؛ ولكن فى أقطار كثيرة شرقية وغربية . بل إن الصيحات الناقدة انبثقت أساساً من أمريكا على أيدى جماعات من المربين والنفسانيين تطلعوا إلى عقيدة ديوى التربوية بانفعالات مختلفة ومتشابكة . وفى رأى بعض المربين المحدثين الأمريكيين أن عقيدة ديوى تعكس الروح البراجماتية ، فما هو صدق إنما يتولد عن البحث فى نتائج الفعل أو العمل ، ويرون أن عقيدة ديوى تعبر عن إيمان ثابت ليس فقط على قدرة الفرد على النمو ، ولكن أيضاً على قدرة المجتمع لتشكيل الإنسان على أحسن صورة يريدها هذا المجتمع .

كما أن ديوى أنهى عقيدته بقوله ... ليست مهمة المُعلِّم مجرد تدريب الأفراد بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة . يجب أن يعرف كل معلم كرامة مهنته ، إنه خادم اجتماعى انفرد بحفظ النظام الاجتماعى الصحيح ، وتأمين النمو الاجتماعى الصادق . وعن هذا الطريق فالمعلم دائماً هو رسول الحق والهادى إلى ملكه .

عدم ارتياح :

ومع هذا الشمول الذى يحسه القارىء لعقيدة ديوى ، وما تشيعه من تفاؤل وما تشعه من براجماتية ، إلا أن (القارىء) مضطر إلى الإحساس بعدم الارتياح . ويرى عديد من المربين الأمريكيين أنه قد مضى أكثر من ثلثى قرن منذ أعلن ديوى عن عقيدته ، وفى غضون هذه الفترة صار تغير فى مفهومنا عن الطبيعة وعن المجتمع وعن عالم المؤسسات الاجتماعية . بل

أكثر أهمية من كل هذا أننا عايشنا ثورة فى مفهومنا عن طبيعة الإنسان ، عن ذكائه ، عن قدراته ، وعن أحاسيسه ...

لقد خاض العالم حربين عالميتين ، وقامت الثورة الروسة ، وتداعت أنظمة حكم كثيرة ، وانحسرت موجة الإمبريالية ، وانتشرت الاشتراكية . وشهد العالم تقدماً هائلا فى التكنولوجيا ، وترك الأرض مكتشفاً وسائحاً فى الفضاء ، ونظر من القمر إلى الأرض . وهو الإنسان الذى تشكك فى قيم كثيرة وفلسفات مختلفة ... وكان هذا وغيره - داعياً لإعادة النظر وتقييم عقيدة ديوى التى سادت فترة ليست قصيرة .

ولعلنا نحاول الآن أن نعيد فحص آراء ديوى مهتدين بما نعرفه اليوم عن العالم وعن الطبيعة البشرية . على أنه واجب علينا القول إن ديوى كتب ما كتب وقال ما قال حاكماً على ما كان دائراً حوله من عقم وجمود تربويين ، وكان ذلك فى التسعينات من القرن الماضى . فعندما أكد أهمية الخبرة المباشرة والعمل الاجتماعى ، فكان ينقد الشكلية الفارغة للعمل المدرسى وقتئذ ، هذه الشكلية التى لم تربط بين ما تعلمه التلميذ فى المدرسة وبين خبرته خارج المدرسة . وقد ثار ديوى على هذا الفصل وتلك القطيعة ثورة عارمة هادرة ... ولكن إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده ، ومبالغة فى الفضيلة رذيلة .

لهذا فان المربين الأمريكيين منذ سنوات قليلة مضت يعيدون النظر فى التربية السائدة وهى نتاج الديوية ، ويبنون (إصلاحاتهم) على مساوئها . بمعنى آخر إذا كان ديوى قد ثار على الجمود والعقم ونادى بالجديد ، فان فان التربية الأمريكية اليوم تثور على هذا الجديد ... لا لإرجاع الأمور إلى تربية ما قبل ديوى .

وإنصافاً للحق ، فان بعض آراء ديوى قد أسيء فهمها . بل تدخلت العاطفة أحياناً فى وصفها المبالغ فيه علميا . بل إن ديوى نفسه كتب فى عقيدته قائلا إن أخطر ما يهدد التربية خضوعها تحت رحمة الأهواء العاطفية . والمقصود بالعاطفية هنا الانسياق والتهافت على الجديد دون وعى تام أو شبه

كامن به . لهذا فقد انتشرت « مشروعات الفصول الدراسية » . وذاعت على كل لسان عبارة « التكيف للحياة » . كما أصبحت من (الموضة) التقليل من أهمية المادة الدراسية ، وصار انغماس فى التعليم بالعمل . وتمضى أيام وأسابيع حتى تبيض الدجاجة ، وفترة طويلة تستمتع بالرقاد على البيض ، والتلاميذ ومدرسهم ينتظرون اليوم الأعظم ... وقت ضائع لم تستفد منه إلا الدجاجة والكتاكيت . ثم موضوع « الاستعداد للتعلم » ، وقد أخذ شوطاً كبيراً ، وأصبحنا نتخذه ذريعة وعصا نتوكأ عليها لتبرير فشلنا وتصورنا . وكأن كل شيء جائز طالما أنه صادر عن ديوى ، سواء قاله أو أسيء فهمه . وإذا صح كل هذا فى بداية القرن العشرين ، فَهَلْ يجوز أن يصح فى الثلث الأخير من هذا القرن مع الانفجار السكانى المروع ، مع التقدم التكنولوجى الرهيب ، وخاصة فى أمريكا التى يصفها البعض بأنها أمة تجرى على عجلات ، ولا تقبل مطلقاً أن ينتظر أطفالها الدجاجة تتم رقادها !!!

الفرد والثقافة :

مهمة التربية مزدوجة ، فهى — أى العملية التربوية — تنقل إلى الفرد جزءاً من المعرفة التى جمعها الإنسان ، وجزءاً من القيم وطرائق السلوك ، وهذه كلها — إلى جانب مكونات أخرى — تكون الثقافة . وبهذا فان التربية تشكل إحساسات ووعى وطريقة حياة الفرد . ولكن على التربية أيضاً أن تنمى السلوك الذكى حتى يستطيع الفرد أن يتخطى مسالك عالمه الاجتماعى الثقافية ، ويقدر على التجديد والخلق والابتكار على أبسط صورة ممكنة . وهذا أضعف الإيمان . بعملية الخلق هذه يستطيع الطفل أن يكون لنفسه ما يمكن أن نسمية ثقافته الداخلية أو الباطنية .

قد يكون من الممكن أن يكون كل فرد لنفسه فنية ما ، فالمجتمع يعج بمختلف أصناف وألوان الفنون ، والفرد يتخير منها ، وفى داخليته يعاد تشكيل أو صياغة ما تخيره ليخرج فناً خاصاً به. الفرد : كذلك الحال عندما يدرس التلميذ مادة كالجغرافية أو الفيزياء ... الخ . ولا يستطيع فرد أن يلم

بكل مكونات المعرفة أو بكل ما تحويه الثقافة التى يعيش فيها . (وبالمناسبة يحلو للبعض أن يطلق على الثقافة وصفاً أو تعبيراً يكاد يكون مرادفاً هو الذاكرة الاجتماعية .) . يستطيع الفرد إذن بامتصاصه بعض مكونات الثقافة أن يعيد تشكيلها بحيث تخرج منه وهى تعكس نظرته إلى الحياة . ويتمكن الفرد من تكوين هذه النظرة عن طريق التربية .

فى رأى بعض المحدثين الأمريكيين ، ممن رفضوا الديوية ، أن متطلبات التكنولوجيا تلح على تأكيد حرية الفرد لخلق صور عن العالم ترضيه . كما أن هذا العصر شهد أيضاً بزوغ أيديولوجيات تخضع الفرد لأهداف المجتمع المحددة وتطلب من الفرد أن يكون عاملا مهماً فى تقدم المجتمع ، وهذا واجب أساسى عليه ، ومع اختلاف وجهتى النظر ، فمما لا شك فيه أن فهم الإنسان لنفسه ولعالمه الطبيعى والاجتماعى قد زاد كما وكيفاً . وهذا يدعو إلى تعميق مناهجنا ليس فقط لإثراء المجتمع ، بل أيضاً لإثراء الفرد .

كان ديوى - ربما - على حق عندما نادى باشتراك الفرد فى الوعى الاجتماعى للجنس ، ولكن قوله حق له حدان ، لأن التربية - الخيرة منها والشريرة تتطلب اشتراك المتعلم فى الوعى الاجتماعى للجماعة التى هو جزء منها بل إننا نعلم أن اللغة التى يتحدث بها ، التى ينطقها كفرد تحدد وتشكل طريقة وتنظيم تفكيره وخبرته وقد تكون بداية تكوين هذا التشكيل والتنظيم منذ بواكير طفولة الفرد ، ويلعب الحوار الدائر بين الطفل وغيره من الأطفال ، وبينه وبين الراشدين دوراً أساسياً فى هذا الشأن . باللغة والتفكير تصبح عملية التربية ممكنة . ولكن لأن التربية تمنح خبراتنا شكلا وتعبيراً ، فانها أيضاً يمكن أن تكون الأداة الرئيسية لوضع الحدود أمام مهمة العقل ، والضمانات التى يمكن أن تستخدم مقابلة هذه الحدود هى وضع بديلات للأعمال .

على التربية إذن ألا تكون مجرد ناقل للثقافة ، ولكنها مورد لوجهات النظر البديلة عن العالم ، وأيضاً عاملا مدعماً للإرادة لمناقشة هذه البديلات .

البداية وخط السير والامتياز :

قال ديوى إن التربية يجب أن تبدأ بالتبصر النفسى فى قدرات الأطفال واهتماماتهم وعاداتهم .

لكن نقطة البداية ليست هى خط السير .

انه من الخطأ أن نضحى بالراشد من أجل الطفل ، تماماً كما نضحى بالطفل من أجل الراشد . بل إنه من المبالغة العاطفية الافتراض بأن تعلم الحياة للأطفال أمر يمكن أن يتمشى مع ميولهم واهتماماتهم ، كما أنه من الشكلية الفارغة إرغام الأطفال على ترديد شعارات مجتمع الراشدين .

يمكن خلق وإثارة الاهتمامات . ولن نحيد عن الصواب إذا قلنا أن العرض يخلق الطلب ، إن تحدى ما هو موجود يخلق استجابات . علينا إذن أن نجهز الأطفال بطرائق أشد عمقاً وفعالية لمعرفة العالم الذى يعيشون فيه ... ومعرفة أنفسهم .

المدرسة مدخل الحياة العقل . هى الحياة ذاتها وليست إعداداً للحياة . ولكنها نوع خاص من الحياة . نوع أحسن إعداده ليتعامل مع أخطر سنى حياة الإنسان . وليس عمل المدرسة قاصراً فقط على مد المتعلمين بالخبرات التى تؤدى إلى إمكانية استمرار المجتمع ، ولكنها أيضاً بيئة خاصة يمارس فيها المتعلمون خبرة الكشف مستخدمين ذكاءهم حتى ينتقلوا إلى عالم آخر من الخبرات . هذه الخبرات الجديدة تختلف عن خبرات الطفل القديمة .

قال ديوى فى إصرار بضرورة الاستمرارية بين المدرسة والمجتمع والبيت ويلوح أنه أغفل الوظيفة الخاصة للتربية كإطلالة على أبعاد جديدة ، فلو كانت المدرسة مجرد منطقة إنتقال من الألفة الأسرية المنزلية إلى حياة المجتمع ، فهى إذن عملية من اليسير جداً إعدادها وتنظيمها . يتم هذا بصورة جلية سهلة فى المجتمعات (البدائية) حيث تقام حفلة ينتقل فيها الفرد من الطفولة إلى البلوغ والرشد ، ويصبح فرداً عليه مسئوليات معينة نحن لا نستطيع هذا فى مجتمعات أكثر تعقيداً من تلك المجتمعات البسيطة ، يتطلب الأمر فى المجتمعات المتقدمة أن يتعرض الصغار إلى ميادين جديدة من الخبرة محاولين الكشف عن واستجلاء

الغوامض ، محاولين اكتساب قوى جديدة ، هذه هى مادة التربية ، كما يجب أن تكون ، بل هى مكونها المنطلق .

ولدينا مثال حى من التربية الصينية التقليدية حيث ارتأت صورة للشخص الجميل ، هو ذلك الفرد الذى يستطيع أن يمزج المعرفة والعاطفة والعمل ويصهرهما فى طريقة حلوة للحياة . فكرة تكوين الشخص (الجنتلمان) عرفتها أيضاً أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . نفس الفكرة التى عناها الفريد نورث هوايتهيد مؤخراً عندما ألح فى ضرورة اشتمال التربية على تعرض الأفراد لفكرة الامتياز . ويشتمل الامتياز على العديد من الأشكال يتناسب عدداً مع عدد الأفراد المتعلمين ، فكل منهم يكون صورته عن الامتياز .

على المدرسة إذن أن تعمل على تنمية أشكال الامتياز ، وقد يعمل المدرس على أن يضمن فى تعليمه عوامل تنمية هذا الامتياز . إن من الإمتياز قدرة عالم كبير على التحدث بنفس القدرة والكفاية التعليمية لطفل صغير ، وإلى طالب يدرس الدكتوراه .

المـــادة والطريقة :

وننتقل إلى نقطة أخرى تتصل بالمادة التى يتعلمها المتعلمون فى المدارس ولكى نفهم المقصود بالمادة علينا أن نحدد وجهة النظر فى طبيعة المعرفة . المعرفة نموذج أقمناه ليعطى معنى وتكويناً مميزاً للخبرة . معنى هذا أن الأفكار المنظمة لأى جانب من جوانب المعرفة هى من صنع الإنسان لجعل الخبرة تتسم بأنها اقتصادية ومترابطة . لقد اخترعنا مفاهيم وأفكاراً مثل (القوة) فى الفيزياء ، (الدوافع) فى علم النفس ، (الأسلوب) فى الأدب ... وغيرها كوسائل لتحقيق هدف الفهم . وما تاريخ الثقافة إلا تاريخ وتطور ونمو الأفكار المنظمة ذات الأهمية البارزة ، أفكار تنبثق من القيم العميقة ووجهات النظر عن الإنسان وعن الطبيعة . وليست قوة هذه الأفكار المنظمة قاصرة على مجرد إتاحة الفرص لنا لنفهم التغير الحادث فى العالم الذى نعيش فيه ، وأيضاً التنبؤ بهذا التغير ، بل هى تتعدى هذا إلى أن تصبح هذه الأفكار مورداً لأدوات الخبرة .

من هذا يتضح لنا أن تنظيم المادة وتكوينها هو بؤرة التركيز والتأكيد فى التربية .

ويتضح أيضاً مما سبق أن وحدة المعرفة توجد فى المعرفة ذاتها .

وهذا كله يعنى أن ما قصده ديوى عندما قال بعلاقة المادة الدراسية بمناشط الطفل الاجتماعية ، إنما يعنى سوء فهم لما تعنيه المعرفة وسوء تقدير لكيفية الحصول عوليها .

ماذا يجب أن يتعلمه الأطفال بالمعنى التقليدى المعروف لنا عبر عصور التاريخ ؟ الواقع أن هذا السؤال يتحول ليكون إجابة يتحصل عليها الفرد من سؤال آخر هو : ما هو غير التافه ؟ » بمعنى لو استطعنا أن نجيب على هذا السؤال « ما الجدير بالمعرفة عنه ؟ » لأصبح من اليسير التمييز بين ما هو جدير بأن يدرس للأطفال ويتعلمونه ، وبين التافه مما يدرسونه ويتعلمونه ، لا شك أن معرفة عن العالم الطبيعى ، وعن الظروف البشرية ، ومعرفة عن طبيعة وديناميات المجتمع ، ومعرفة عن الماضى حتى يستخدمها الفرد فى تكوين خبرته عن الحاضر وتنبوءه بالمستقبل ، أقول هذه الأنواع من المعرفة يلوح أنها ضرورية كأسلحة يتسلح بها من يعطى نفسه الحق بأن يكون إنساناً مثقفاً ، بل ويضاف إلى هذه الألوان من المعرفة معرفة عن الإنتاج الفنى .

وقد يكون ديوى مصيباً عندما قال إننا لا نستطيع التنبوء بما سيكون عليه عالم المستقبل الذي سيعيش فيه الطفل الذى نعلمه اليوم . ولهذا فإنه ركز العملية التربوية حول (تعليم) الطفل كيف يفكر حتى يستطيع بهذا السلاح أن يخترق تغيرات الزمن والظروف .

لكن ، أليس من الخير أن نقدم للأطفال الأفكار الأساسية فى فروع المعرفة بالطريقة التى تستطيع عقولهم فهمها ، ثم نعمل على أن يعمق الأطفال فهم هذه الأساسيات فى تقدمهم التعليمى؟

أن العملية التربوية وهدف التربية شىء واحد ، بل هى نفس الشىء . فهدف التربية هو الفهم المنضبط ، والعملية التربوية فى إجراءاتها هى أيضاً

هذا الفهم المنضبط أى هذا الذى خطط بإحكام ودراية فائقة على أيدى أساتذة المادة والمربين . مادة علمية فى بساطة شديدة ، دقيقة فى سهولة يستطيع عقل الطفل فهمها ، ثم هى تتتابع فى تسلسل منطقى سليم ، ثم تزداد كما وعمقا مع تقدم الطفل فى مراحل تعليمه .

عكس الفهم ليس الجهل وليس عدم المعرفة . لكى نفهم شيئاً يعنى أن نتخلى عن طريقة عهدناها أو أدركنا بها هذا الشىء . ثم أنه بين طريقة إدراك شىء ما ، وطريقة أفضل لإدراكه تقع منطقة من الخلط والفوضى . ومما ورثناه بيولوجياً فان هذه الفوضى تنتج قلقاً . ومع هذا القلق تأتى الأساليب الدفاعية مثل الهرب والخوف الشديد أو حتّى التجمد بمعنى عدم القدرة على إتيان أى فعل ، وهذه كلها تعنى شل وتعطيل عمل العقل .

بيولوجياً هناك قدرة معينة للعقل فى استيعاب المعلومات ، ولا يجب تخطى هذه القدرة وحدودها وإلا أوقعنا الطفل فى دائرة من الخلط والنسيان . لهذا ، فقبل أن يتعرض الطفل لنطاق عريض من المعرفة عن موضوع ما أن يلم بفكرة عامة عن هذا الموضوع ، ويجب أن ترتبط هذه الفكرة العامة بأشياء حسية من واقع خبرة الطفل ، فمثلا نريد أن يتعلم الطفل فى سنيه الأولى بالمدرسةالابتدائية معلومات عن مادة الاقتصاد ، هذا مهم ويسير ، ولنأخذ مثلا قانون العرض والطلب وهو يلعب دوراً حيوياً فى هذا العلم العريض . يمكن للطفل (فهم) هذا القانون من واقع حياته العملية وخبرته الواقعية ، كتوزيع عدد من الأقلام على تلاميذ الفصل ؛ مرة عدد الأقلام أكثر من عدد الأطفال ، وأخرى عدد الأطفال يفوق ما هو معروض من أقلام ، ونبدأ دورة التعلم من هذا الموقف العملى المباشر ، ثم نتقدم نحو المعقول أو النظرى أو المجرد . والمهارة هنا تظهر عندما نحاول كمعلمين استخدام المجرد غير المحسوس لفهم جزئيات أخرى ؛ معنى هذا أن فهم المعنوى أو المجرد — فيما بعد — يمكن أن يتم دون اللجوء دائماً إلى الواقع المحسوس .

ويعنى هذا أيضاً أن طريقة غالية ثمينة فى التربية تنادى بأخذ يد الطفل لكى

يكتشف بنفسه ، وقد تكون هذه الطريقة أثمن من طريقة أخرى قوامها معلومات يعطيها المعلم لتلاميذه ثم يمتحنهم فيها ، وكل همهم إرضاء المدرس أو الحصول على درجات النجاح ، أو التمكن من الالتحاق بالجامعة مثلا .

إن أهمية الكشف أن الطفل سوف يخلق أو (إيعمل) ما يتعلمه ، وسوف يضع ما اكتشفه فى موضعه السليم فى الثقافة التى يخلقها لنفسه ، وهى مستمدة من ثقافة المجتمع ، ثم ثانياً أن الكشف وما يؤدى إلى إحساس بالثقة هما خير جزاء يجنيه الطفل من التعليم ، هى جزاء يدعم ويقوى ما فى قلب عملية التربية ، ونقصد به البحث المنضبط .

يجب أن يشجع الطفل على الاستفادة بما يتعلمه وليس معنى هذا بالضرورة أن يجد فائدة اليوم لما تعلمه بالأمس أو حتى فى نفس اليوم . وإنما القصد أن يجد الطفل أهمية فى ارتباط المعرفة وتماسكها . بل قد تؤدى معرفة الطفل حقيقتين والصلة بينهما إلى محاولة منه لإتمام عملية تعميم ، أو محاولة لتخطى حاجز الجزء إلى الكل ، أو إلى تكوين (نظرية) مؤقتة . إن قفزة الطفل من مجرد التعلم إلى استخدام ما تعلمه فى التفكير هى خطوة أساسية وضرورية فى حسن استخدام عقله ... لا بأس من أن يخمن الطفل ، ولكن فى إطار من الواقع ، وخير من أن يستخدم ما لديه من أدلة غير كافية .. هنا ينزع الفرد نفسه من براثن السلبية

وأهم من هذا كله أن تتحرر العملية التربوية من عدم الأمانة العقلية ، ومن أشكال الغش التى تشرح دون أن تؤدى إلى فهم . ويرى برونر أنه يمكن أن نعلم أية مادة لأى طفل فى أى عمر إذا قدمت له فى شكل يناسبه ، شكل أمين . ويعطى مثلا عن التدريس عن كرستوفر كولمبس لأطفال الصف الخامس الإبتدائى فى المدارس الأمريكية حيث يقدم لهم كولمبس على أنه يمثل مراهقاً أمريكياً يلهو مع أخيه بارت بعد ظهر ذات يوم ويتساءل عما يقع فى الطرف الآخر من المحيط ، إن الصورة غير الأمينة التى تقدم للتلاميذ من شأنها أن تثبط الكشف العقلى عند المتعلمين مما يعوق نمو الفهم الحقيقى .

– – –

فى رأى جمهرة من المربين الأمريكيين المحدثين أن التربية هى الطريق الأساسى للتغير الاجتماعى ، بل هى أقدر على هذا من الثورات . والتغير الحاصل اليوم سريع إلى درجة مذهلة ، وإذا (آمنا) بأن المدرسة هى الحياة وليست مجرد إعداد للحياة ، فعليها أن تكعس التغيرات التى تعيشها .

يتضمن هذا أولا أن نؤمن بضرورة أن نغذى مدارسنا ونمدها بصورة مستمرة بما يحدث فى المعرفة . هذا حتمى فى ميدانى الرياضيات والعلوم ؛ يجب أن يصل التقدم العلمى إلى صفوف المدارس الابتدائية والثانوية ، فى كل مكان تغير ، ومع التغير نتعلم .

ويرى هؤلاء المربون ضرورة وجود مفهوم جديد عن المنهج ويقترحون إنشاء عديد من « معهد دراسات المنهج » . ويجتمع فى هذا المعهد العلماء والمربون والنفسانيون والفنانون والمبرزون من معلمى المدارس ورجال أعمال ليراجعوا ويحسنوا المناهج ، ويتميز العمل بهذا المعهد بأنه يتعدى هذه الفئة المحددة من أساتذة الجامعة الذين يصممون المناهج ، وربما هم الذين تجاهلوا هذا التغير الهائل الذى تمر به البشرية . إن ما قصد بالامتياز فى صفحات سابقة يظهر معناه الآن واضحاً ، وهو أن العالم النابغة الذى يجرى أحدث التجارب فى معمله والطالب الذى يقف فى معمل الكيمياء .. كلاهما يحاول أن يفهم .

<u>الخلاصة :</u>

ربما خير خلاصة أن نقدم عقيدة تربوية أخرى غير عقيدة ديوى : « ليست التربية هى مجرد نقل الثقافة !، ولكنها تعطى — أيضاً — شكلا لقوة وحساسية العقل حتى يستطيع كل فرد أن يتعلم كيف يبحث بنفسه ويكون ثقافة داخلية خاصة به .

إن المدرسة مدخل لحياة العقل ، بما يتضمنه هذا من الثقة فى استخدام العقل .

إن مادة التربية هى المعرفة عن العالم وارتباط أجزائه بعضها بالبعض ، معرفة لها تكوينها وهيكلها وتنظيمها وتاريخها ، وهذا يسمح لنا أن نجد نظاماً وإمكانية التنبؤ فى الخبرة .

إن طريقة التربية هى الطريقة المتضمنة فى أى فهم ، هى مجهود منضبط يعرف الفرد بنفسه ويحول ما فهمه إلى تمثيل العالم تمثيلا منظماً يأخذ فى اعتباره الجزئيات ولكنه يعترف فى نفس الوقت بالأهمية القصوى للمعنويات والمجردات ، وهذه لا يمكن الاستغناء عنها .

إن المدرسة تظل وتستمر الأداة الرئيسية للتقدم الاجتماعى فى وقت يتميز بسرعة التغير ، والمدرسة لهذا فى أمس الحاجة إلى إثراء وتغيير ما تقدمه ، وذلك بالتغذية المستمرة فى مناهجها ، كل هذا يعتمد على زرع والتعبير عن أشكال الامتياز التى تنبثق فى المجتمع .

إن أى أهداف أقل طموحاً من هذه غير جديرة بالتحدى الذى نواجهه .

* * *

هكذا يفكر المربون المحدثون فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مدخل السبعينات من القرن العشرين .